مجلة العلوم العربية والإنسانية
جامعة القصيم، المجلد (١٣)، العدد (١)، ص ص ٢٠٧-٢٣٥، (محرم ١٤٤١هـ/ سبتمبر ٢٠١٩)

رؤية نقدية في شعر المُقِلّين
(نونية سَوَّار بن المُضَرَّب السعدي أنموذجا)

د. عادل نصورة محمد التمساحي
الأستاذ بكلية التربية بالزلفي (جامعة المجمعة بالمملكة العربية السعودية)
(كلية اللغة العربية . جامعة الأزهر . مصر)

ملخص البحث: أهداف البحث : محاولة الوقوف على إجابة مقنعة للآتي : هل قلة نتاج الأديب . مع جودته . ينهض دليلا على شاعريته؟ وما حاجة الشاعر إلى الدربة والمران؟ وإذا سلمنا ببراعة المقل فهل كان مكثرا يوما ؟ وما الأسباب الكامنة وراء ضياع معظم شعره ؟

خطة البحث : المقدمة وفيها أهداف البحث وخطته ، وأظهر الصعوبات ، والتمهيد وفيه التعريف بالشاعر ، وفي المبحث الأول تقديم للقصيدة ، ونص القصيدة مشروحا ، وفي المبحث الثاني حديث عن الوحدة الموضوعية والعضوية ، وفي المبحث الثالث حديث عن الصورة الشعرية ، وفي المبحث الرابع حديث عن التجربة الشعرية ، وفي الخاتمة نتائج الدراسة ، ثم كانت الفهارس .

النتائج : أجاد الشاعر في التعبير عما لمسه في البيئة الجديدة التي حل بها ، وجودة شعر المقل دليل على براعته في فنه، فمن الصعب أن يبلغ شاعر مبتدئ هذه المكانة من الجودة ، للصورة الشعرية في القصيدة مكانة مرموقة ، استلهم الشاعر صوره من بيئته ، مؤكدا لها بأدواته الفنية ، وموهبته الشعرية ، عايش الشاعر تجربته الشعرية ، فظهرت موهبته في معاني مبتكرة ، وعواطف صادقة .

الكلمات المفتاحية: رؤية نقدية شعر المقلين العصر الأموي نونية سوار بن المضرب

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .. وبعد

فمازال لتراثنا العربي رونقه وجماله ، ومازالت ذخائره تفتقر إلى التنقيب والبحث ، وشعر المقلين في العصر الأموي ظاهرة توحي باتجاهات موضوعية ، وسمات فنية جديرة بالدرس والتحليل ؛ فقد تحمل إجابات عن أسئلة حيرت النقاد دهرا ، وقد تفسر غامضا تباينت الآراء في تفسيره .

أهداف البحث : حاول الباحث ، من خلال دراسته لنونية " سوار بن المضرب السعدي" ؛ بوصفه أنموذجا لشعر المقلين في العصر الأموي ، حاول الوقوف على فهم واضح ، وإجابة مقنعة لأسئلة متحركة في نفسه ، لعل أبرزها :

هل قلة نتاج الأديب ـ مع جودته ـ ينهض دليلا على شاعريته؟ وما حاجة الشاعر إلى الدربة والمران؟ وهل يستطيع مبتدئ في نظم الشعر أن يصوغ عملا تهتز له رؤوس شيوخ البيان إعجابا به ؟ وإذا سلمنا ببراعة المقل وجودته ، فهل كان مكثرا يوما ما ؟ وما الأسباب الكامنة وراء ضياع معظم شعره؟

ولإدراك الغاية المنشودة من الدراسة جاءت خطة البحث في النقاط الآتية :

- ❖ المقدمة : وفيها : أهداف البحث ، وخطته ، وأظهر الصعوبات التي واجهت الباحث .
- ❖التمهيد : وفيه : لمحة موجزة عن العصر الأموي ، والتعريف بالشاعر.
- ❖ المبحث الأول : وفيه : تقديم للقصيدة ، ونص القصيدة مشروحًا وموثقًا .
- ❖ المبحث الثاني ، وعنوانه : بين الوحدة الموضوعية والعضوية .
- ❖ المبحث الثالث ، وفيه : حديث عن الصورة الشعرية في النونية .
- ❖ المبحث الرابع ، وعنوانه : التجربة الشعرية في القصيدة .
- ❖ الخاتمة : وفيها : نتائج الدراسة .
- ❖ الفهارس : وتضم : فهرس المصادر والمراجع ، وثبت الموضوعات .

وكان المنهج الفني هو طريق الباحث لخطته .

ومن الصعوبات التي قابلت الباحث : تفرق شعر "سوار" في المصادر ، وتعدد روايات النونية وتداخل بعض أبياتها مع أبيات أخرى لشعراء آخرين من الصعوبات التي واجهت الباحث ، فحاول التغلب عليها .

وهذا جهد قدمه الباحث فإن كان التوفيق حليفه ففضل من الله ونعمة ، وإن كانت الأخرى فحسبي المحاولة ، وفي قابل الأيام - إن شاء الله - إدراك لما فات .

الباحث

تمهيد :. أولًا : أضواء على العصر :

شهدت الحياة العربية في العصر الأموي أحداثا سياسية ، وتغيرات اجتماعية جعلت الاغتراب عن الديار ظاهرة يلمسها القارئ لتاريخ العصر ، فالمتتبع لأخبار الشعراء يقف أمام فئة من الهاربين نزح بعضها عن الوطن قهرا حين حُكم عليها بالنفي ، وأخرى كان الهرب من السلطان ومغادرة الأوطان ملاذها ؛ حرصا على الحياة ، وفرارا من الموت .

وبين النفي والهرب اتفاق وتباين ، فكلاهما خروج من الوطن وغربة عن الأهل والخلان ومراتع الصبا ، غير أن النفي تغريب عن الديار قسرا بأمر من الحاكم ، وفيه تمكن الوالي من المنفي وقدر على الفتك به، ولكنه يؤثر النفي دون غيره من العقوبات ؛ أما الهرب ففيه نزوح عن الوطن طواعية من الهارب إيثارا للسلامة ، وفيه انفلات من قبضة السلطان الذى كشر عن أنيابه للهارب ، تمهيدا للفتك به ، غير أن عجزه عن إنفاذ غضبه بدا واضحا ؛ لفرار المغضوب عليه ، وضربه في الأرض نائيًا عن قبضة الغاضب .

ومن خلال استقراء الباحث لأخبار الشعراء الهاربين في العصر الأموي يقف على أسباب الهرب من السلطان ،ولعل أبرزها :

❖❖ الخلاف السياسي ، حيث تعددت الأحزاب السياسية المعارضة للخلافة الأموية ، فكان منها الشيعة ، والخوارج ، والزبيرية ، وغيرها ممن رأوا في بني أمية إهمالا لتعاليمَ أقرَّها الإسلام ، أهمها مبدأ الشورى في تولى الأمر ، ويهرب المتمردون إلى الفيافي والأماكن النائية ، مستجيرين طالبين الشفاعة والعفو ، أو مستترين منتظرين نصر الله القريب .

ومن الشعراء الهاربين لهذا السبب في العصر الأموي : ـ الكميت بن زيد الأسدي ت ١٢٦ هـ وكان شيعيا ، وكثير من شعراء الخوارج ، والزبيرية ومنهم : عبيد الله بن قيس الرقيات الهارب من عبدالملك بن مروان ؛ لخلاف سياسي [١].

وما انحصر هرب الشعراء في العصر الأموي ؛ بأسباب سياسية ، في أنصار الأحزاب المناوئة للحزب الحاكم، بل رأينا من الشعراء مَنْ فر مدفوعا بخلاف شخصي مع الوالي ، فهذا " سوّار بن المضرب السعدى " يفر من الحجاج في العراق إلى الفيافي .

---

(١) هرب عبيد الله من عبد الملك وناصر مصعب بن الزبير المناوئ لبني أمية ومدحه بقصائد رائعة ، تراجع في (ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص٨٧ ، ١١٧ ، ١٢١ ، ١٢٨ ت . د محمد يوسف نجم ط . دار صادر ، بيروت) وفي ص ٨٧ ، و ٩٧ من الديوان تعريض بعبد الملك وبني أمية .

❖❖ ضعف الوازع الديني في نفوس عدد من الشعراء ؛ مما حدا بنفر منهم إلى فعل ما يوجب العقاب ؛ وإقامة الحد ، وهو ما وقع فيه الفرزدق بهجائه لبني نهشل(٢) ، وفي مثل هذا يكون الهرب ملاذ الجناة ؛ حرصا على الحياة ؛ وطلبا للحرية المزعومة.

ويكثر في شعر الهاربين : آلام الحنين إلى الوطن بما فيه من أهل وخلان ، وأوجاع الشوق إلى المحبوبة ، والخوف من الحاضر القاتم ، والمستقبل المظلم .

التعريف بالشاعر: هو سَوَّار(٣) بن المُضَرَّب السعدي ، سعد بني تميم، وقيل سعد بني كلاب ، أخباره قليلة ومتناثرة ؛ لكونه من الشعراء المقلين ، والمتمردين على الحجاج بن يوسف الثقفي .

ولم يتوصل الباحث إلى سنة أو مكان ولادته ، ولا سنة أو مكان وفاته ، غير أنه بصري هرب من الحجاج إلى "عمان" ، وفي مهربه نظم أشعارا تفيض بمشاعر الغربة والحنين ، وتصف الفلوات والجبال التي مر بها .

نسبه : والده هو المُضرَّب السعدي ، والمُضَرَّب لقب أُطلق عليه ؛ لأنه شبب بامرأة فحلف أخوها ليضربنه بالسيف مائة ضربة ، فضربه فغشى عليه ، فسمي مضربًا لذلك ، وهو أحد بني ربيعة بن كعب بن زيد مناة بن تميم(٤).

أخباره وأخلاقه : تناثرت أخبار الرجل ، مع قلتها ، في المصادر ، والمتتبع لأبياته الشعرية المتناثرة يستشف أخبارا ترسم ملامح شخصيته ، فهو شاعر إسلامي سكن البصرة في العراق ، ودعاه الحجاج إلى حرب الخوارج فرفض(٥) ، وهرب خائفا إلى الفيافي في " عمان " يقول واصفا نفسه بالطريد : (٦) من بحر الوافر

أمـــن أهـــل النقـــا طرقـــت ســـليمى طريـــدا بـــين شـــنظب والثمـــان(٧)

فهو طريد ، مترقب ، خائف ، يخشى صولة الحجاج وانتقامه .

---

(٢) هجا الفرزدق بنى نهشل، فاستعدوا عليه (زياد ابن أبيه) فهرب إلى الفيافي ، ونظم أبياتا يشكر فيها من ساعده في مهربه ، الخبر والأبيات في ديوانه صـ ١٢٨ شرح وضبط على فاعور ط . دار الكتب العلمية بيروت ، ط . الأولى سنة ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

(٣) معنى كلمة سَوَّار : وَثَّابٌ معربدٌ ، وساوره، أي واثَبَهُ. ويقال: إنَّ لغضبه لَسَوْرَةً. وهو سَوَّارٌ ، انظر : تاج اللغة وصحاح العربية ، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، ج ٢ صـ ٦٩٠ ، ت .أحمد عبد الغفور ، ط. دار العلم للملايين – بيروت ، ط. الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

(٤) المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ،لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، ج ١ ص ٢٤١ ، ت. ف. كرنكو ، ط. دار الجيل، بيروت ،ط. الأولى، ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م .

(٥) الخصائص ، لأبي الفتح عثمان بن جني ، ج ٢ ص ٤٣٥، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط .الرابعة .

(٦) الأصمعيات ، لأبي سعيد عبد الملك بن قريب ، صـ ٢٣٩،ط . دار المعارف مصر ،ط . الخامسة ، ت أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون .

(٧) شنظب : واد بنجد لتميم ، الثماني : هضبات ثمانٍ في أرض تميم .

ويبدو أن " سوارًا" كان فارسا شجاعا ؛ ولهذا طلب الحجاج نصرته في حربه على الخوارج ، وكان عزيز النفس ، رافضا للضيم ، متمسكا بمبادئه ومتمردا على ما سواها ، حيث يقول (٨): من بحر الطويل

أَيَرْجُــو بَنُــو مَــرْوَانَ سَمْعِــي وَطَــاعَتِي وَقَــــوْمِي تَمِــــيمٌ وَالْفَــــلَاةُ وَرَائِيَــــا

ويوضح الشاعر سبب إعراضه عن قتال الخوارج ، فما هو بالجبان الخوار ، ولكنه غير مقتنع بسياسة الحجاج ، فيقول (٩): من بحر الطويل

فإن كان لا يرضيك حَتَّى تردني إلى قطري(١٠) لا إخالك راضيا

وحب الوطن ، والحنين إليه من أظهر صفات "سوار " ، حيث يقول (١١): من بحر الوافر

سقى الله الْيَمَامَة من بِلَادٍ نوافحُها كأرواح الغواني

بهَا سُقتُ الشَّبَابَ إِلَى مشيبٍ فقُبِّحَ عنده حُسْن الزَّمانِ

وجوّ زَاهِر للريح فِيهِ نسيم لَا يروع الترب وانِ

ومن صفاته التي عكستها بعض أبياته : سعة الحيلة عند التخلص من الملمات والأخطار ، حيث يقول (١٢): من بحر البسيط

وحاجةٍ دونَ أُخْرَى قَدْ سَنَحْتُ لَهَا جَعَلْتُهَا لِلَّتِي أَخْفَيتُ عُنْوانا(١٣)

ويبدو زهده وقوة إيمانه حين يعاتب ، تائبا منيبا ، قلبه وجوارحه على المعاصي ، فيقول(١٤) : من بحر البسيط

يا أيها القلب هل تنهاك موعظة أم يحدثنْ لك طول الدهر نسيانا

إني سأستر ما ذو العقل ساتره من حاجة وأميت السر كتمانا

إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لاَ حَيَاءَ لَهُ وَلَا أَمَانَةَ وسْطَ النَّاسِ عُرْيَانَا

---

(٨) البحر المحيط ، لأبي حيان محمد بن يوسف لأندلسي ، ج ٧ ص ٢١٣ ت .صدقي جميل ، ط . دار الفكر – بيروت ١٤٢٠ هـ ، و : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي ، ج ٨ ص ٣٣٢ ، ت. علي عبد الباري عطية ، ط . دار الكتب العلمية – بيروت ،ط . الأولى ١٤١٥ هـ .

(٩) معاني القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء ،ج ١ ص ٢٣٢ ت .أحمد يوسف النجاتي وآخرون ، ط. دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر ، ط.الأولى .

(١٠) وقطري : هو قطري بن الفجاءة ، واسمه : جعونة بن مازن الكناني ، وهو من زعماء الخوارج ، وكان خطيبا وفارسا شجاعا ، واستفحل أمره وظل ثلاث عشرة سنة يقاتل ويسلم عليه بالخلافة وإمارة المؤمنين ، قتله جيش سيره إليه الحجاج سنة ٧٨ هـ ، ترجمته في : الأعلام لخير الدين الزركلي جـ ٥ صـ ٢٠٠ ط . دار العلم للملاين .

(١١) الحماسة البصرية ، علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري ، ج ٢ ص ١٣٢ ، ت .مختار الدين أحمد ، ط .عالم الكتب – بيروت .

(١٢)لسان العرب، لأبي الفضل ابن منظور ، ج ٢ ص ٤٩٢ ، ط. دار صادر ، بيروت ، ط . الثالثة ، سنة ١٤١٤ هـ .

(١٣) يُقَالُ سَنَحَ لَهُ سانحٌ فَسَنَحه عَمَّا أَراد أَي رَدَّه وَصَرَفَهُ

(١٤) شرح ديوان الحماسة ، لأبي على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، ص٩٥٢ ، ت. غريد الشيخ ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ، ط. الأولى، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م .

وفخره بالشجاعة ، والإقدام ، والفروسية ، والثبات حين تحمر الرماح من كثرة الدماء ، وتستعر الحرب ، ويفر الفرسان ، ففخره ينبئ عن فارس له بين قومه شأن ، ومع أعدائه مواقف ، يقول (١٥): من بحر الكامل

أجنوب إنك لو رأيت فوارسي بالسيف حين تبادر الأشرار(١٦)

سعة الطريق مخافة أن يؤسروا والخيل تتبعهم وهم فرار

يدعون سوارًا إذا احمر القنا ولكل يوم كريهة سوار(١٧)

وفي الأبيات تناص مع قول "عنترة" في معلقته (١٨) :

يدعون عنتر والرماح كأنها أشطان بئر في لبان الأدهم

ويبقى لـ "عنترة " فضل السبق الزماني ، ولـ" سوار" : الإيجاز ، حيث أورد المعنى في شطر بيت ، ودقة التعبير في قوله (إذا احمر القنا) فالثبات عند وقوع الرماح في نحور الفرسان أبلغ في التعبير عن الشجاعة من الثبات عند وقوعها في أعناق الخيول ، ويضيف "سوار " ما يؤكد معناه حين يقول : (ولكل يوم كريهة سوار) فحاله هذا ثابت ومستمر في كل يوم كريهة ، وهو وصف غاب عن "عنترة "

(١٥) شرح كتاب الحماسة للفارسي ، أبي القاسم زيد بن علي الفارسيّ ، ج ٢ ص ٣٣٥ ، ت . د. محمد عثمان علي ط. دار الأوزاعي – بيروت ، الأولى.

(١٦) جنوب: اسم امرأة، والسيف: شاطئ البحر.

(١٧) وإذا احمر القنا يعني إذا اشتدت الحرب وكثر الطعن .

(١٨) شرح ديوان عنترة ، الخطيب التبريزي صـ ١٨٢ ت . مجيد طراد ، ط . دار الكتاب العربي بيروت سنة ١٤١٢ = ١٩٩٢ ط. الأولى .

المبحث الأول : (القصيدة)

أولًا : مصادر القصيدة :

القصيدة رواها الأصمعي (١٩) كاملة ، ومكونة من أربعة وأربعين بيتا ، ووردت متفرقة في مصادر متعددة على سبيل الاستشهاد في مواقف لغوية وشرعية متنوعة (٢٠) ، واعتمد الباحث رواية الأصمعي مصدرا للبحث ؛ لثقته بها .

وتتداخل بعض أبيات القصيدة مع قصيدة "جَحْدَر بن ربيعة العُكَلِيّ" (٢١) ومطلعها (٢٢): من بحر الوافر

تأَوَّبَنِي فبت لها كَنِيعًا هومٌ ما تُفَارقُني حَوَانِي(٢٣)

فالأبيات رقم ٣٨ و ٣٩ و ٤٠ عند "سوار " أثبتها " القالي لـ " جحدر " ؛ والتداخل في نسب بعض الأبيات سمة من سمات شعر المقلين ، وعقبة كؤود يعانيها كل دارس لشعر هذه الفئة .

ثانيا : بين يدي القصيدة :

سكن الشاعر البصرة في العصر الأموي ، ودعاه " الحجاج بن يوسف الثقفي " إلى حرب الخوارج فرفض(٢٤) ، وخاطبه قائلا (٢٥): من بحر الطويل

أقَاتِلِيَ الحَجَّاجُ أَنْ لَمْ أَزُرْ لَهُ دَرَابَ، وَأَتْرُكْ عِنْدَ هِنْدٍ فُؤَادِيَا ؟(٢٦)

فإن كان لا يرضيك حتى تردّني إلى قطريّ ما إخالك راضيا(٢٧)

إذا جَاوَزَتْ دَرْبَ المجيزين ناقتي فَبِإِسْتِ أبى الحجاج لما ثَنَانِيَا(٢٨)

---

(١٩) الأصمعيات صـ ٢٣٩ .

(٢٠) فعلى سبيل المثال : ورد البيت رقم ٤٣ في تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري ، ج ١ ص ٣٥٧ ، والبيتان رقم ٤٢ و ٤٣ في لسان العرب ج ٢ ص ٤١٨ ، والأبيات رقم ٤١ و٤٢ و٤٣ و٤٤ في شرح كتاب الحماسة للفارسي ج٢ ص ١١٣ ، والبيت رقم ٦ في معجم البلدان لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ج ٣ ص ٤٦٤ ط. دار صادر بيروت ، والبيتان رقم ٣٩ و ٤٠ في كتاب الحيوان لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ ج ٣ ص ٤٤٠ ت عبد السلام هارون ط الحلبي مصر ط الثانية سنة ١٣٨٥=١٩٦٥ ، والبيت رقم ٤٣ في معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس ج ١ ص ٣٥٩ ت عبد السلام هارون ط دار الفكر بيروت سنة ١٣٩٩=١٩٧٩

(٢١) جحدر بن ربيعة العكلي ، كان لصا أشتد أمره في عهد الوليد بن عبد الملك ، وتمكن منه الحجاج فأخذه وحبسه ، وفي محبسه قال هذه القصيدة يستعطفه بها ، ولكن الحجاج أجاع الأسد ثلاثة أيام وأطلقه عليه ، ويتمكن جحدر من الأسد ويقتله ، فيصطفيه الحجاج لثباته وقوته وفصاحته .

(٢٢) كتاب الأمالي لأبي علي القالي ، ج ١ ص ٣٣٢ ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٥ م

(٢٣) تأوبني : عاودني منذ أول الليل ، كنيعا : منقبضا ، حواني : جمع حانية وهي ، الملتوية .

(٢٤) الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني ، ج ٢ ص ٤٣٥ ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط .الرابعة .

(٢٥) الكامل في اللغة والأدب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، ج ٢ ص ٧٧ ، ت . محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط. دار الفكر العربي – القاهرة ، ط. الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

(٢٦) دراب : بلدة بفارس قاتل فيها الحجاج الخوارج ، ودعا " سوار " إلى اللحاق بالجيش هناك لقتالهم .

(٢٧) قطري : قطري بن الفجاءة ، سبقت ترجمته صـ ٦.

أيرجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا(٢٩)

ويضمر الحجاج الشر للشاعر ، ويري الشاعر ذلك بعين بصيرته ، ويدركه بفطنته ، فيهرب من البصرة متجها إلى الفيافي في " عمان " وفي أثناء رحلته وبعد بلوغه مهربه ينظم قصيدته ، واصفا الطريق وأهواله ، والمهرب وآلامه.

ثالثا : نص القصيدة : .

يقول سوَّار(٣٠) : من بحر الوافر

١- أَلَمَ تَـــــــرَنِي وإِنْ أَنْبَـــــــأتُ أَنِّي طَوَيْـتُ الكَشْـحَ عَـنْ طَـلَبِ الغَـوانِي(٣١)

٢- أُحِـــبُّ عُمَـــانَ مـــن حُـــبِّي سُـــلَيْمَى ومـــا طِـــبِّي بِحُـــبِّ قُـــرَى عُمَـــانِ(٣٢)

٣- عَلَاقَـــةَ عاشـــقٍ وهَـــوًى مُتَاحًـــا فمـــا أنا والهـــوَى مُتَـــدَانِيَانِ(٣٣)

٤- تَـــذَكَّرُ مـــا تـــذكرُ مـــن سُـــلَيْمَى وَلَكِـــنَّ المـــزَارَ بِهَـــا نَآنِي(٣٤)

٥- فـــلا أَنْسَـــى لَيَـــالِيَ بِالكَلَنْـــدَى فَنِـــيْنَ وكـــلُّ هـــذا العَـــيْشِ فَـــانِ(٣٥)

٦- وَيومًـــا بالمجَـــازَةِ يَـــوْمَ صِـــدْقٍ ويومًـــا بـــين ضَـــنْك وصَـــوْمَحَانِ(٣٦)

٧- أَلَا يا سَـــلْمَ سَـــيِّدَةَ الغَـــوانِي أمَـــا يُفْـــدَى بأرضِـــكِ تِلـــكَ عَـــانِ(٣٧)

٨- ومـــا عَانِيْـــكِ يَا ابْنَـــةَ آلِ قَـــيْسٍ بِمَفْحُـــوشٍ عَلَيْـــهِ ولا مُهَـــانِ(٣٨)

---

(٢٨) درب المجيزين : القائمون على أبواب المدن يمنعون الداخل والخارج إلا بإذن وإجازة من الوالي ، فبإست : إست : حلقة الدبر في الإنسان ، ثنانيا : من أثناه إذا منعه .

(٢٩) ورائيا : ورائي هنا بمعنى: أمامي، قال تعالى شأنه:{وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي}و{وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً}.

(٣٠) الأصمعيات صـ ٢٣٩ .

(٣١) الكشح : ما بين الخاصرة إلى الضلع من الخلف ، والمعنى : زهدتُ في طلب الغواني والحديث عنهن .

(٣٢) وما طبي : ليس من شأني وعادتي ، عمان : أرض على شاطئ الخليج العربي تغنى ببعدها المكاني الشعراء منذ فجر التاريخ ، يقول جرير ضاربا بها المثل في بعد المسافة : .

أحمو عليك فلا تجوز بمنهل *****ما بين مصر إلى قصور عمان

والبيت من قصيدة يخاطب بها الفرزدق ، ومطلعها :

لمن الديار ببرقة الروحان **** إذ لا نبيع زماننا بزمان

شرح ديوان جرير ، محمد إسماعيل الصاوي صـ ٥٧٦ ط . مطبعة الصاوي بمصر ، ط . الأولى .

(٣٣) علاقة : ما علق بالقلب ، متاحا : ممكنا مسموحا به .

(٣٤) المزار : مكان الزيارة ، والمراد بيتها ، نأني : بعد عني .

(٣٥) الكلندى : اسم موضع .

(٣٦) المجازة ، وضنك ، وصومحان : مواضع .

(٣٧) العاني : الأسير .

٩- أَمِـــنْ أَهْـــلِ النَّقَـــا طَرَقَـــتْ سُـــلَيْمَى طَرِيْـــدًا بَـــيْنَ شُـــنْظُبَ والثَّمَـــانِ(٣٩)

١٠- سَـــرَى مِـــنْ لَيْلِـــهِ حـــتى إذا مـــا تَـــدَلَّى الـــنَّجْمُ كَـــالأُدْمِ الهِجَـــانِ(٤٠)

١١- رَمَـــى بَلَـــدٌ بـــه بَلَـــدًا فَأَضْـــحَى بِظَمْـــأَى الـــرِّيْحِ خَاشِـــعَةِ القِنَـــانِ(٤١)

١٢- تَمُـــوتُ بنـــاتُ نَيْسَـــبِهَا ويَغْـــبَى علـــى رُكْبَانِهَـــا شَـــرَكُ المتَـــانِ(٤٢)

١٣- يُطَـــوِّي عِنْـــدَ رُكْبَـــةِ أَرْحَـــبِيٍّ بعيـــدِ العَجْـــبِ مـــن طَـــرَفِ الجِـــرَانِ(٤٣)

١٤- مَطِيَّـــةِ خَـــائِفٍ ورَجِيْـــعِ حَـــاجٍ شَمُـــوذِ الـــذَّيْلِ مُنْطَلِـــقِ اللَّبَـــانِ(٤٤)

١٥- قَـــذِيْفِ تَنَـــائِفٍ غُـــبْرٍ وحَـــاجٍ تَقَحَّـــمَ خَائِفًـــا قُحَـــمَ الجَبَـــانِ(٤٥)

١٦- كـــأنَّ يديـــهِ حـــينَ يقـــالُ سِـــيرُوا علـــى مـــتنِ التَّنُوفَـــةِ غَضْـــبَتَانِ(٤٦)

١٧- يقِيســـانِ الفـــلاةَ كمـــا تَغَـــالَى خَلِيعَـــا غَايَـــةٍ يَتَبَـــادرانِ(٤٧)

١٨- كأنهمـــا إذا حُـــثَّ المطَـــايَا يَـــدَا يَسَـــرٍ المتَاحَـــةِ مُسْـــتَعَانِ(٤٨)

١٩- سَـــبُوتَا الرَّجْـــعِ مَـــائِرَتَا الأَعَـــالِي إذا كَـــلَّ المطِـــيُّ سَـــفِيهتَانِ(٤٩)

٢٠- وهـــادٍ شَعْشَـــعٍ هَجَمَـــتْ عليـــهِ تَـــوالٍ مَـــا يُـــرَى فيهـــا تَـــوانِ(٥٠)

٢١- أَعَـــاذِلَتَيَّ في سَـــلْمَى دَعَـــانِي فـــإِنِّي لا أُطَـــاوِعُ مـــن نَهَـــانِي(٥١)

---

(٣٨) مفحوش عليه : من فحش على من معه ، إذا اشتد قبحه عليه قولا وفعلا ، والمعنى : لست ممن يتناوله القوم ببذيء الأقوال ، وسيء الأفعال ، فأنا حسن السمعة بينهم .

(٣٩) طرقت سليمى : من طرق النجم إذا ظهر ليلا ، شنظب : واد بنجد لتميم ، الثماني : هضبات ثمانٍ في أرض تميم

(٤٠) سرى : سافر ليلا ، الأدم : جمع أدماء وهى الإبل خالط بياضها سوادٌ ، الهجان : الكرام .

(٤١) ظمأى الريح : ريح جفافها شديد ، القنان : جمع قنة ، وقنة الجبل أعلاه ، وخاشعة القنان : أعلاها يابس هزيل ، والمعنى : مر الشاعر في مهربه بأرض لم تعرف المطر .

(٤٢) بنات نيسبها : الطرق الصغار تتشعب من الطريق العظيم ، يغبى : يستر ، الشرك : الطريق الواضح ، المتان : جمع متن وهى الصلبة .

(٤٣) أرحبي : نسبة إلى أرحب وهى قبيلة من همدان ، العجب : أصل الذنب ، الجران : مقدم عنق البعير من مذبحه إلى منحره .

(٤٤) رجيع : الرجيع من الإبل : العائد من السفر ، الحاج : جمع حاجة ، شموذ الذيل : رافع ذيله من النشاط والقوة ، اللبان : الصدر

(٤٥) تنائف : جمع تنوفة وهى الصحراء الواسعة شديدة الجفاف ، تقحم : ركب الشدائد.

(٤٦) غضبتان : صخرتان غليظتان .

(٤٧) تغالى : تسابق .

(٤٨) يسر المتاحة : سهلها ، والمتاحة : الاستقاء على البكرة ، مستعان : استعين به ، فهو أسرع له .

(٤٩) سبوتا الرجع : سريعتا الرجع في السير ، الرجع : رد الدابة يديها في السير ، مائرتا الأعالي : مضطربة من السمنة وكرم المحتِد ، سفيهتان : خفيفتان .

(٥٠) هاد : عنق ، شعشع ، طويل ، توال : أعجاز .

(٥١) أعاذلتي : العاذلة : اللائمة .

٢٢- ولـــو أنِّي أُطيعُكُمَـــا بســـلمَى لكنـــتُ كـــبعضِ مـــن لا تُرْشِـــدَانِ
٢٣- دَعَـــانِي مـــن أَذَاتِكُمَـــا ولكـــن بـــذكْرِ المذْحِجيَّـــةِ عَلِّـــلَانِي(٥٢)
٢٤- فـــإنَّ هَـــوَايَ مـــا علِمَـــتْ سُـــلَيْمَى يَمَـــانٍ إنَّ مَنْزِلَهَـــا يَمَـــانِ
٢٥- تَكِـــلُّ الـــريحُ دونَ بِـــلادِ ســـلْمَى وشِـــرَّاتُ المنوَّقـــةِ الهِجَـــانِ(٥٣)
٢٦- بِكُـــلِّ تَنُوفَـــةٍ للـــرِّيْحِ فيهـــا حَفِيْـــفٌ لا يَـــرُوعُ الـــتُّرْبَ وانِ(٥٤)
٢٧- إذا مـــا المسْـــنَفَاتُ عَلَـــوْنَ مِنْهَـــا رَقَاقًـــا أو سَمـــاوَةَ صَحْصَـــحَانِ(٥٥)
٢٨- يَخِـــدْنَ كـــأنهن بكـــل خَـــرْقٍ وإغْسَـــاءَ الظَّـــلَامِ علـــى رِهَـــانِ(٥٦)
٢٩- وإن غَـــوَّرْنَ هَـــاجِرةً بِفَيْـــفٍ كـــأنَّ سَـــرَابَهَا قِطَـــعُ الـــدُّخَانِ(٥٧)
٣٠- وضَـــعنَ بـــه أَجِنَّـــةَ مُجْهِضَـــاتٍ وُضِـــعْنَ لِثَالِـــثٍ عَلَقًـــا وَثَانِ(٥٨)
٣١- وليـــلٍ فيـــه تَحْسِـــبُ كـــلَّ نجـــمٍ بَـــدَا لـــكَ مـــن خَصاصـــةِ طَيْلَســـانِ(٥٩)
٣٢- نَعَشْـــتُ بـــهِ أَزِمَّـــةَ طَـــاوِيَاتٍ نَـــواجٍ لا تَبِـــينُ عَلَـــى اكتِنـــانِ(٦٠)
٣٣- تُثِـــيرُ عَـــوازِبَ الكُـــدْرِيِّ وَهْنًـــا كـــأنَّ فِراخَهَـــا قُمْـــرُ الأَفـــانِي(٦١)
٣٤- يَطـــأْن خُـــدودَه مُتشَـــمِّعاتٍ علـــى سُمُـــرٍ تَفُـــضُّ حَصَـــى المتَـــانِ(٦٢)
٣٥- سَـــرَينَ جميعَـــه حَـــتَّى تَـــوَلَّى كمـــا انكَـــبَّ المعَبَّـــدُ للجِـــرَانِ(٦٣)

---

(٥٢) المذحجية : : نسبة إلى مذحج ، عللاني : من تعلل بالأمر إذا تشاغل به
(٥٣) شرات : جمع شرة ، وهي النشاط والرغبة ، المنوقة : الإبل المذللة ، الهجان : البيض الكريمة .
(٥٤) تنوفة : مفازة .
(٥٥) المسنفات : المتقدمات في سيرها ، رقاق : أرض سهلة منبسطة ، سماوة : أعلى ، صحصحان : أرض واسعة مستوية ملساء .
(٥٦) يخدن : من الوخد وهو ضرب من السير السريع توسع فيه الإبل خطوها ، خرق : قفر ، إغساء : أغسى الليل : أظلم .
(٥٧) غورن : من التغوير بمعنى القيلولة ، والفيف : المستوي البعيد من الأرض .
(٥٨) مجهضات : مسقطات، والمعنى : قسوة الطبيعة وشدة الجفاف في أرض مهربه تودي بأجنة الناقة القوية ، فتسقط وهي مازلت علقة ، في الشهر الثاني أو الثالث من الحمل .
(٥٩) خصاصة : فرجة ، طيلسان : ضرب من الملابس.
(٦٠) نعشت : نَعَشَ : أقام ، أَزِمَّة : ما يُشَدّ به الحيوان من حبل ونحوه لقيادته أو لإمساكه بإحكام ، طاويات : جمع طاوية وهى الضامرة ،نواج : جمع ناجية وهي الناقة السريعة ، تبين : من بان الشيء إذا ظهر ، اكتنان : ستر ، والمعنى : لا تبيت النياق في ستر .
(٦١) عوازب : بعيدات ، الكدري : نوع من القطا ، وهنا : وقتا قريبا من منتصف الليل ، قمر : جمع أقمر وقمراء وهى بياض فيه غبرة ، الأفانى : جمع أفانية وهو ضرب من النبات .
(٦٢) يطأن خدوده : يطأن الليل ، متشمعات : جادات ، سمر : أخفاف الإبل ، تفض : تفرق وتكسر ، المِتان : جمع المتن ، ومتن الأرض ظهرها الصلب المرتفع .
(٦٣) المعبد : البعير المذلل ، الجران : باطن العنق .

٣٦- وشَــقَّ الصــبحُ أُخْــرَى الليــلِ شَــقًّا جِمـــاحَ أَغَـــرَّ مُنقطِـــعٍ العِنـــانِ(٦٤)

٣٧- ومـــا ســـلمى بِسَـــيِّئَةِ المحَيَّـــا ولا عَسْـــراءَ عَاسِـــيَةِ البَنـــانِ(٦٥)

٣٨- ألا قَـــدْ هـــاجني فـــازددتُ شـــوقًا بكـــاءُ حمـــامتينِ تَجَـــاوَبَانِ(٦٦)

٣٩- تَنَـــادَى الطـــائرانِ بِصُـــرْمِ ســـلمى علـــى غُصْـــنَينِ مـــن غَـــرْبٍ وبَانِ(٦٧)

٤٠- فَكـــانَ البـــانُ أن بانـــتْ سُـــلَيمَى وبِالغَـــرْبِ اغْـــتِرابٌ غـــيرُ دَانِ(٦٨)

٤١- ولـــو سَـــأَلتْ سَـــرَاةَ الحَـــيِّ عـــنِّي علـــى أَنِّي تَلَـــوَّنَ بِي زَمَـــانِي(٦٩)

٤٢- لَنَبَّأَهَـــا ذَوو أَحســـابِ قَـــوْمِي وأعـــدائِي فَكُـــلٌّ قـــد بَـــلَانِي(٧٠)

٤٣- بِـــدَفْعِ الـــذَّمِّ عـــن حســـبِي بِمَـــالِي وزَبُّـــونَاتِ أَشْـــوَسَ تَيِّحـــانِ(٧١)

٤٤- وَأَنِّي لا أَزَالُ أَخَـــــا حِفَـــــاظٍ إذا لم أَجْـــنِ كنـــتُ مِجَـــنَّ جَـــانِ(٧٢)

---

(٦٤) جماح أغر : جماح فرس أغر .

(٦٥) المحيا : الوجه ، عسراء: تعمل بشمالها ، عاسية : يابسة غليظة .

(٦٦) هاجني : جعل مشاعري تضطرب فأتألم ، تجاوبان : تتحاوران في انسجام وتوافق .

(٦٧) صرم: قطيعة ، غرب وبان : نوعان من الشجر.

(٦٨) البَان : الكلام يكشف عن حقيقة حال ، بانت : بعدت .

(٦٩) سراة الحى : وجهاء الحى وأشرافه ، تلون بي زماني : تعرضت لتصاريف الزمان خيرها وشرها .

(٧٠) بلاني : عرفني وخبرني .

(٧١) زبونات : جمع زبونة ويقصد بها دفاع عزيز القوم المتكبر ، أشوس : رفع رأسه كبرا ، فينظر من ناحية عينه ، تيحان : الذي يتدخل ويقع في كل شيء .

(٧٢) أخا حفاظ : صاحب دفاع عن الحرمات ، أجن : أرتكب جناية ، مجن : المجن : الترس .

المبحث الثاني : (بين الوحدة الموضوعية والعضوية)

تعددت موضوعات القصيدة ؛ فاستشف المتلقي منها أفكارا ترسم ملامح عامة لحال الشاعر ، وطريقة تفكيره ، وتسهم في رسم أبعاد اجتماعية ، وسياسية ، وبيئية لعصره ، ومع هذا التعدد نلمس ترابطا ووحدة عضوية ، إذ بين الأبيات علاقة قوية ومتينة ، فهي علاقة السبب بالمسبب ، والنتيجة بالمقدمة ، والمؤكِّد بالمؤكَّد ، وفي السطور الآتية ـ بإذن الله ـ بيان وتوضيح .

❖ ففي الأبيات من ١ – ٧ : استهلال تقليدي في ظاهره ، طريف لمن يرجع البصر كرة وكرتين ، فظاهر الأبيات مقدمة غزلية سار على نهجها كثير من الشعراء منذ فجر التاريخ ، وإذا أعاد المتلقي النظر وجدها مقدمة غزلية استُهِلت باحتراز ينفي ما قد يقع في نفس المتلقي للأبيات اللاحقة من افتتان الرجل بالغواني ، وطلبه لهن ، وهو ما يطعن في مرؤته وفروسيته التي أكد عليها في غير موضع ، وتذهب صورته الجميلة التي يطمع في ثباتها عند " سلمى " يقول :

٣- عَلَاقَـــةَ عاشـــقٍ وهَـــوًى مُتَاحًـــا فمـــــا أنا والهـــــوَى مُتَـــــدَانِيَانِ

والاستهلال بهذا الاحتراز يعكس براعة الشاعر وتمكنه من أداوت فنه ، حيث رسم صورة مثالية لشخصيته ، وظلت الصورة ثابته في كل أبيات القصيدة ، وأبياته المتناثرة الأخرى ـ وقد سبقت الإشارة إلى بعضها ـ بالإضافة إلى أن هذا الاستهلال أسهم في التمهيد للأبيات اللاحقة .

وتدفعه ذكرى محبوبته إلى الحديث عن بعض مواقفه الجميلة معها ، فما نسي ليالي بالكلندى ، ولا يوما بين ضنك وصومحان .

❖ وفي الأبيات من ٨ - ١١ يلمس المتلقي وصفا لحال الشاعر وصورته المثالية ، فما هو بالمهان ولا المفحوش عليه ، وإن أضحى طريدا بين " شنظب " و" الثمان " ، وتقاذفته البلدان ،والبيئات القاسية ، فمن بَلَاهُ أدرك طيب معدنه ، وما معاناته الحالية إلا عرض زائل ، ومحنة طارئة ، فالأبيات وصف حسي ومعنوي لرجل عَرَكَتُه الحياةُ فعَارَكَها .

وبفطنة وذكاء يقدم الشاعر حسن ظن الناس به على وصفه وحديثه عن نفسه ، فيخاطب محبوبته بقوله :

٨- ومـــا عَانِيْـــكِ يَا ابْنَـــةَ آلِ قَـــيْسٍ بِمَفْحُـــــوشٍ عَلَيْـــــهِ ولا مُهَـــــانِ

فما ساءت سمعته يوما ، ولا تعرض للإهانة من أحد ، وسلامة سمعته ، وتجنبه للإهانة يعكس رأي الناس وحسن ظنهم به ، وتكتمل ملامح شخصيته المثالية بحديثة عما خفي عن الناس من جميل صفاته .

❖ وفي الأبيات من ١٣ - ٢٠ وصف للراحلة ، والترابط بين الأبيات وسابقتها واضح ومتين ، ففي الأبيات السابقة يصف قسوة البيئة ، و وُعُورَة الأرض ؛ مما يتطلب مركبا قويا ، له صفات خاصة ، وهو ما رسمته الأبيات من ١٣ -٢٠ ، فدابته : فحل من " أرحب " وهو حي من " همدان " معروف بنجابة إبله وقوتها ، وهذا الفحل متين البنيان ، جسيم ، معتاد السفر ، يتمتع بالنشاط والقوة فهو (شَمُوذِ الذَّيْلِ مُنْطَلِقِ اللَّبَانِ) ، تتقاذفه الفلوات

الواسعة شديدة الجفاف ، فيقتحمها بصفات جسدية تتناسب مع الوضع الراهن، بل تتغلب على هذه الطرق الوعرة ، فيَدَا الفحل صخرتان غليظتان ، وهما طويلتان ، فعند المشي يخيل إليك أنهما تقيسان الفلاة سرعة ، وإقداما ، وقوة ، والتوافق بين يدي الفحل وقدميه عجيب ، فحين تجتمع نرى خطوات واسعة وسريعة ، وتكتمل ملامح المَرْكَبِ بعنق طويل تهاجمه عجز ؛ لتتسابق في سرعة الحركة ورشاقتها .

ومجمل القول في هذه الدابة العجيبة أنها سريعة الحركة في غير هزال ولا ضعف ، فأعلاها مضطرب من السمنة مع سرعة ورشاقة ، فما هي كغيرها من الدواب التي أنهكها ، فأهزلها طول السفر ، وكل دابة بهذا الوصف تصلح أن تكون مطية خائف مترقب ، متعجل الهرب ، مرتاد القفار الوعرة .

❖ وفي الأبيات من ٢١ – ٢٤ يلتفت الشاعر إلى من لامه على حب "سلمى" رافضا أي لوم أو عتاب ، متمسكا بحبها .

كما أنها رسمت للمتلقي بُعْدًا من أبعاد شخصية " سوار" ، فما هو ممن يتأثرون بأقوال اللائمين ، ولا ممن ينساقون خلف أقوال المُغْرضين دون إعمالٍ لعقله ، فحبه لسلمى لا مجال للطعن فيه ، بل ذكرها يخفف عنه آلام غربته ، وأوجاع محنته ، فيقول : ولكن بذكْرِ المَذْحِجيَّةِ عَلِّلَانِي .

❖ وفي الأبيات من ٢٥ -٣٦ تأكيد لمبدأ قرره في الأبيات السابقة ، فحبه لسلمى راسخ كالجبال ، وإن بَعُد المكان ، ونأت به الفيافي والقفار ، فأرض مهربه بعيدة ، تكل ريحها قبل أن تصل إلي ديار سلمى ، وطرقها وعرة ، وأرضها قاسية شديدة الجفاف ، وعلى الرغم من ذلك خاضها بجسارة ، وما غاب طيف "سلمى" عن مخيلته .

❖ وفي الأبيات من ٣٧ - ٤٤ وصف لـ "سلمى " :

٣٧- ومـــا ســـلمى بِسَـــيِّئَةِ المحَيَّـــا ولا عَسْـــــراءَ عَاسِـــــيَةِ البَنَـــــانِ

فهي تجمع بين جمال المنظر وطيب المخبر ، وحاله معها قبل مهربه كهاتين الحمامتين ؛ مما زاد من ألمه ، فتنامت في نفسه مشاعر الغربة ، يقول :

٣٨- ألا قَـــدْ هـــاجني فـــازددتُ شـــوقًا بكـــــاءُ حمـــــامتينِ تَجَـــــاوَبَانِ

٣٩- تَنَـــادَى الطـــائرانِ بِصُـــرْمِ ســـلمى علـــى غُصْـــنَينِ مـــن غَـــرْبٍ وبَانِ

ويختم الشاعر قصيدته بفخر؛ يؤكد فيه على أنه كفء لمحبوبته ، وفيه مهرب من آلام غربته ، وأوجاع وحدته ، فأعداؤه وأصدقاؤه يشهدون له بالفضل ، وإن تَلَوَّن به الزمان ، فدأبه الذود عن الأحساب ، ونصرة ونجدة من يستغيث به ، والحق ما شهدت به الأعداء .

المبحث الثالث : الصورة الشعرية :

يحتل الحديث عن الصورة الشعرية مكانة مرموقة ، لدورها في تصوير دقائق البيئة الجديدة التي نزل بها الهارب ، أو التي لحظ دقائق ومشاهد منها في أثناء سفره هاربا ، وكونها أداة مهمة من أدوات تجسيد المشاعر والأحاسيس ، والمعاني السامية ، والانفعالات التي ضاق بها صدر الأديب ، الذى يلجأ إلى التصوير تنفيسا عن قوة عاطفته ، وحرارة شعوره ، وسمو معانيه

والقارئ لنونية "سوار" يقف على عدد من الصور التي جمع بينها الشاعر في مهارة فائقة ، وربط بينها برباط حيوي قوى ، فبدت القصيدة صورة كلية ، رسمت بوضوح أبعاد شخصية مزقتها آلام الفراق ، وخوف السلطان ، والضرب في الفلوات .

والقصيدة بصورها الست الجزئية أخرجت لنا ملامح هارب مزقته آلام الحنين إلى دياره ومحبوبته :

❖ فالصورة الأولى مقرها الأبيات من ١ ـ ٨ ، وفيها وصف لغريب يحن إلى بلد قضى في أكنافه حقبا من الزمان ، ينعم بقرب محبوبته ، فما أجمل لياليه بالكلندى ، وأيامه بالمجازة ، وضنك ، وصومحان .

❖ أما الصورة الثانية فمقرها الأبيات من ٩ ـ ١٢ وفيها تصوير لتصاعد آلام الشاعر في مهربه ، حيث طرق طيف سلمى خياله ، فتذكر رحلته الشاقة في المهرب ، وكيف تقاذفته البلدان ورمت به الفيافي بعضها بعضا .

❖ أما الصورة الثالثة فمقرها الأبيات من ١٣ ـ ٢٠ وفيها محاولة للخروج من هذا الحزن العميق بالهرب إلى وصف صاحبه في السفر ، فقد لازمه في مهربه أرحبي بعيد العجب ، شموذ الذيل ، قذيف تناتئف .

❖ أما الصورة الرابعة : فعبرت عنها الأبيات من ٢١ ـ ٢٤ ، وفيها تصوير لموقف ربت بسببه أحزانه ، وآهاته ، معبرة عن عظيم آلامه ، وهو موقف لوم العذال له في حب "سلمى" .

❖ أما الصورة الخامسة : فجاءت في الأبيات من ٢٥ ـ ٣٦ ، وفيها تصوير لتبعات هذا اللوم ، فحين تذكر ديارها اشتعلت في نفسه نيران الحسرة ، وتوهجت جمرات الحنين ، فالرياح تكل دون الوصول إلى بلاد "سلمى" ،إذ كيف تقطع هذه الفيافي المقفرة ذات الليل البهيم ، والنهار القائظ .

❖ أما الصورة السادسة : فجادت بها الأبيات من ٣٧ ـ ٤٤ ، وفيها محاولة للتخفيف من وقع الآلام ، فيصور محاسن "سلمى" ؛ تطلعا إلى التهوين من حجم الصعوبات الفاصلة بينه وبينها ، فإذا كانت ديار المحبوبة بعيدة ، والأرض الفاصلة بينه وبينها ذات أهوال ، فـ "سلمى" ممن يكابد المرء الأهوال من أجل لقياهم ، فما هي بسيئة المخبر ، ولا المظهر .

ويصف حاله حتى لا ينصرف ذهن المتلقي إلى انعدام الكفاءة بينهما ، فأعداؤه وذوو الأحساب من قومه يشهدون له .

هذه صور جزئية ربط الشاعر بينها برباط قوى ، بدا واضحا في افتقار كل صورة منها لسابقتها في رسم أبعادها ، وأداء دورها في الصورة الكلية للقصيدة ، والتي رنا إليها الشاعر ، والمتمثلة في تصويره لهارب يئنُّ من

الحنين إلى دياره ، ومحبوبته ، ووحشة المكان ، وقسوة العذال في المهرب ، وعلى الرغم من بعد المكان ، ووحشته ما فارقه خيالها ، وما نسي صفاتها

وأثر بيئة المهرب في القصيدة واضح ، فقد استمد الشاعر صوره من الفيافي التي قطعها ، والبلدان التي نزلها ، وفي كل صوره ما فارقته صفات الغرباء ، من طلب للفداء ، ونعته لنفسه بـ (الأسير) في قوله : " أما يفدى بأرضك تلك عان " ، ووصفٍ لحاله في مهربه ؛ طمعا في الفوز بعطف المحبوبة في قوله : " طريدا بين شنظب والثمان " ، وتصويرٍ لأهوال الفيافي الفاصلة بينه وبين طالبيه ؛ طلبا ليأسهم من اللحاق به ، في قوله واصفا مطيته في المهرب :

قَذِيْفِ تَنَائِفٍ غُبْرٍ وحَاجٍ تَقَحَّمَ خَائِفًا قُحَمَ الجَبَانِ(٧٣)

كأنَّ يديهِ حينَ يقالُ سِيرُوا على متنِ التَّنُوفَةِ غَضْبَتَانِ(٧٤)

يقِيسانِ الفلاةَ كما تَغَالَى خَلِيعَا غَايَةٍ يَتَبادرانِ(٧٥)

وبدت براعة الشاعر في صوره حين اتكأ على أدواته الفنية ، التي كان لها دور بارز ، وأثر واضح في الصورة ، ومن هذه الأدوات :

❖ براعته في انتقاء صوره البيانية ،الأمر الذى أسدل على عمله سمات القبول والإعجاب لدى المتلقي .

فتشبيهاته بها لون من الغرابة المحببة التي يمكن تداركها ، وتأثر بالبيئة الجديدة ، بيئة المهرب ، في قوله : " كأن يديه ... " حيث رسم صورة بيانية رائعة لمطيته ، منتزعة من بيئته ، فبها آثار شخصيته ، وطرفاها حسيان ، وأداة تشبيهها " كأن " التي تفيد قوة العلاقة بين المشبه والمشبه به ، وهو ما يؤكد متانة المطية ، وصلابتها في مواجهة أهوال الفيافي، ووحشة أراضيها ، فنراه يثبت بشدة أن يدي الأرحبي الذى امتطاه في مهربه لا تكاد تختلف عن الصخرتين الغليظتين ، الأمر الذى ينتفي معه التعب والإرهاق من طول السفر ووعثائه .

وحين نقرأ قوله :

سَـــرَينَ جميعَـــه حَـــتَّى تَـــوَلَّى كمـــا انكَـــبَّ المعَبَّـــدُ للجِـــرَانِ(٧٦)

نلمس دقة في الملاحظة ، وروعة في الوصف ، وبراعة في الأداء ، حيث شبه إدبار الليل وسقوط نجومه وانحنائها بالبعير المذلل حين ينكبّ للبروك فتقع ركبتاه ويهبط نحره وعنقه ولا يزال عجزه منتصبًا.

---

(٧٣) تنائف : جمع تنوفة وهى الصحراء الواسعة شديدة الجفاف ، تقحم : ركب الشدائد.

(٧٤) غضبتان : صخرتان غليظتان .

(٧٥) تغالى : تسابق .

(٧٦) المعبد : البعير المذلل ، الجران : باطن العنق .

أما استعاراته فلا تقل في روعتها عن تشبيهاته ، وبراعته في استخدامها واضحة ، يقول واصفا نفسه :

رَمَـــى بَلَـــدٌ بـــه بَلَـــدًا فَأَضْـــحَى بِظَمْـــأَى الـــرِّيْحِ خَاشِـــعَةِ القِنَـــانِ(٧٧)

في البيت استعارتان ؛ إحداهما في الصدر في " رمى بلد ..." فـ "الرمي" من صفات الآدمي ، ولكنه أثبته للبلد على سبيل الاستعارة المكنية تجسيدا ، وتوضيحا ، وتوكيدًا للمعنى ؛ والصورة الثانية في عجز البيت في " بظمأى الريح " حيث أثبت الظمأ للريح ، وهو لا يكون إلا لكائن حي ؛ مما أفاد شدة الجفاف ، فاتضح مراد الشاعر وتم تأكيده .

ويضيف الشاعر إلى الاستعارة وصفا يزيدها قوة حين يقول " خَاشِعَةِ القِنَانِ " فرأينا هاربا تقاذفته البلدان ، ودفعته الريح الجافة ، والأرض اليابسة التي لم تذق مطرا قط .

وما أروع الاستعارة في قوله :

تَمُـــوتُ بنـــاتُ نَيْسَـــبِهَا ويَغْـــبَى علـــى رُكْبَانِهَـــا شَـــرَكُ المِتَـــانِ(٧٨)

الاستعارة في " تَمُوتُ بناتُ نَيْسَبِهَا " حيث نسب الموت للطرق الصغار ، والموت من خصائص كل حي ، والغرض من الاستعارة هنا : توكيد المعنى وتجسيده ، وبيان وحشة المكان وخلوه من ألوان الحياة ، فهو قفر مخيف .

ويردف الشاعر الاستعارة بوصف يؤكدها ، حين يقول " ويَغْبَى على رُكْبَانِهَا شَرَكُ المِتَانِ" ، فينتفي التشبيه ، ويتناساه المتلقي ، وزاد من روعة الاستعارة بعدها عن الابتذال ، وقربها من إدراك المتلقي ، فطرق الفيافي التي سلكها الهارب ميتة ؛ لوحشتها ، فما سلكها وما علم بدروبها ركبان قبله.

❖ إكثاره من استخدام حروف المد التي بدا أثرها واضحا في اشاعة جو من البطء والخضوع ، المنبثق عن إحساس باليأس من العودة إلى الديار ، والركون إلى الطمأنينة ، النابعة من إحساس بوحشة المكان ، وبعده عن الرقباء ، فحروف المد يغلب عليها إشاعة " الحس النفسي ببطء الحركة ، بما يناسب المعنى الشعري ، ويتساوق مع الشعور الذاتي "(٧٩) وهو ما بدا واضحا في قوله :

عَلَاقَـــةَ عاشـــقٍ وهَـــوًى مُتَاحًـــا فمـــا أنا والهـــوَى مُتَـــدَانِيَانِ(٨٠)

وقوله:

فـــلا أَنْسَـــى لَيَـــالِيَ بِالكَلَنْـــدَى فَنِـــيْنَ وكـــلُّ هـــذا العَـــيْشِ فَـــانِ(٨١)

وقوله:

---

(٧٧) ظمأى الريح : ريح جفافها شديد ، القنان : جمع قنة ، وقنة الجبل أعلاه ، وخاشعة القنان : أعلاها يابس هزيل ، والمعنى : مر الشاعر في مهربه بأرض لم تعرف المطر .

(٧٨) بنات نيسبها : الطرق الصغار تتشعب من الطريق العظيم ، يغبى : يستر ، الشرك : الطريق الواضح ، المتان : جمع متن وهى الصلبة .

(٧٩) الشعر والنغم د . رجاء عيد صـ ١٦ ط. دار الثقافة بالقاهرة سنة ١٩٧٥.

(٨٠) علاقة : ما علق بالقلب ، متاحا : ممكنا مسموحا به .

(٨١) الكلندى : اسم موضع .

يقِيســـــانِ الفـــــلاةَ كمـــــا تَغَـــــالَى خَلِيعَـــــا غَايَـــــةٍ يَتَبـــــادرانِ(٨٢)

وقوله:

فَكـــــانَ البـــــانُ أن بانـــــتْ سُـــــلَيمَى وبِالغَـــــرْبِ اغْـــــتِرابٌ غـــــيرُ دَانِ(٨٣)

❖ استخدامه لقافية معبرة عن عظيم حزنه ، وانكسار نفسه ، فالروي نون محركة بالكسر ، والغالب على روي النون إشاعة جو من الحزن واليأس ، وأعلت الكسرة من نبرة الشجن ، وأسبغت على الصورة ملامح الخضوع والاستسلام للواقع الأليم .

والصورة في مجملها صادقة ، منطلقة من تجربة حقيقية ، ومشاهد حية لمسها الهارب عن كثب ، فكان الوصف دقيقا ومؤثرا ؛ مما زاد من عمق الصورة وروعتها .

ومجمل القول :

❖ أجاد " سوار " انتقاء صوره ،وأسبغ عليها ألوانا من موهبته الشعرية ، وأدواته الفنية ، فبدا أثرها في المتلقي واضحا ؛ ولهذا رأيناها " تجسم المعاني ، وتنقلها إلى درجة أرقى لتزداد قوة وجمالا "(٨٤) فتؤثر في المتلقي ، ويتفاعل معها.

❖ للصورة الشعرية عند " سوار " خصائص ، فهي مرتكزة على أخرى جزئية أو مفردة ، ويطيل الشاعر النظر ، ويركب المشاهد ، ويجمع المتعدد المتشابه ، فيسلكه في عقد واحد ، وعمل متكامل مؤثر ، ويحرص على أن ترتبط الصورة " دائما بما قبلها وبعدها من صور برباط حيوي ، حتى تكون القصيدة مجموعة من الصور الجزئية المترابطة التي تكوِّن في مجموعها مشهدًا عاما متحركا "(٨٥) له وقعه الآخاذ ، وسمته المميز .

❖ زاد من جمال الصورة وقوتها في النونية اعتمادها على الجانب الحسي ، وانتزاعها من البيئة المحيطة بالشاعر ، والصور الحسية أقوى أثرا من المعنوية ، فالشاهد يرى ما لا يراه الغائب ، وبهذا يصل مضمونها ، ومراد الشاعر منها ، بسهولة إلى المتلقي .

❖ للصورة الشعرية عند " سوار " قيمة فنية ، حيث ترفع صاحبها عن السطحية والابتذال ، وطريقه إلي هذا هو الدمج بين دقة الوصف والتأمل ، فـ " الصورة المثيرة للالتفات هي القادرة قدرة كاملة علي التعبير عن تجارب الأديب ومشاعره ، والتي تتجمع فيها روعة الخيال والموسيقى ، ووحدة العمل الأدبي ، وشخصية الأديب ، وتخيره للألفاظ تخيرا فنيا دقيقا " (٨٦)

---

(٨٢) تغالى : تسابق .

(٨٣) البَان : الكلام يكشف عن حقيقة حال ، بانت : بعدت .

(٨٤) أصول النقد الأدبي د . أحمد الشايب صـ ٣٣ .

(٨٥) الأدب وفنونه د . عز الدين اسماعيل صـ ١٢٢ .

(٨٦) مدارس النقد الأدبي الحديث ، د . محمد عبد المنعم خفاجي ، صـ ٥٦ ، نشر . الدار المصرية اللبنانية ، ط . المدني بالقاهرة ، ط . الأولى سنة ١٤١٦ هـ = ١٩٩٥ .

*****

ومما يلفت النظر في النونية :

❖ قرب الصورة وابتذالها في قوله :

٤٤- وَأنِّي لا أَزَالُ أَخَـــــــا حِفَـــــــاظٍ إذا لم أَجْــنِ كنــتُ مِجَــنَّ جَــانِ(٨٧)

وهي صورة تداولها الشعراء منذ فجر التاريخ في الأدب العربي ، وتبدو واضحة في قول زهير بن أبي سلمى في معلقته : (٨٨) من بحر الطويل

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه يهدَّم ومن لا يظلم الناس يظلم

بين البيتين تأثر واضح ، ولـ " زهير " فضل السبق إلى المعاني والصور ، ولـ " سوار " فضل الدقة في التعبير ، فقوله " أخا حفاظ " يشمل الذائد بالسلاح وغيره ؛ فالشعر سلاح ، والخوف المنبثق من قوة العدو سلاح ، وله أيضا المبالغة في قوله : "إذا لم أَجْنِ كنتُ مِجَنَّ جَانِ ولم يتطرق " زهير" إلى حماية الظالم كما فعل " سوار".

غير أن قرب الصورتين (صورة المدافع عن حوضه ؛ وصورة ظالم الناس وحماية مرتكب الجناية) عند الشاعرين قد يقدح في تأثير التجربة وحيويتها .

❖ أمد الشاعر صوره بما يؤكدها من حسن اختياره لألفاظه وعباراته ، واعتماده على موسيقى العبارة وإيقاعها ، مما يعكس أصالة موهبته ، وتمكنه من أدوات فنه ، فـ " العبارة الموسيقية يكتمل بها تأثير الصورة في الوجدان بما تحدثه من روعة الإيقاع والجرس ... ولا يشك أحد في أن الموسيقى هي لغة العواطف والوجدان ، ولنغماتها درجات من الشدة أو الضعف ، واللين أو القوة ، والسرعة أو البطء ، ونحو ذلك من الصفات التي تصحبها آثار وجدانية وألوان عاطفية من نشاط أو فتور ، وحزن أو سرور ، وثبات أو اضطراب ، إلى غير ذلك من أنواع اليقظة النفسية التي تجيء عن طريق حاسة السمع . " (٨٩)

المبحث الرابع : التجربة الشعرية : .

هي " الصورة الكاملة النفسية أو الكونية التي يصورها الشاعر حين يفكر في أمر من الأمور تفكيرا ينم عن عميق شعوره وإحساسه ، وفيها يرجع الشاعر إلى اقتناع ذاتي ، وإخلاص فني ، لا إلى مجرد مهارته في صياغة القول . " (٩٠)

وللحديث عن التجربة في نتاج الأدباء أهمية ، إذ فيه رصد لأحداث ، ومواقف ، ومشاهد عاينها الشاعر ، وفيه رسم لأبعاد نفسية ، ومقدرة على الابتكار والتحليق حين يتخيل مواقف يستنبطها من مشهد عابر لاحظه ، وإذا جمع الشاعر بين الإجادة فيما يلحظ ، وما يشاهد فقد حاز قصب السبق ، فالشاهد يرى ما لا يراه الغائب ،

---

(٨٧) أخا حفاظ : صاحب دفاع عن الحرمات ، أجن : أرتكب جناية ، مجن : المجن : الترس .

(٨٨) ديوان زهير ، شرح حمدو طماس ، صـ ٧٠، ط دار المعرفة ، لبنان ط . الثانية سنة ٢٠٠٥ = ١٤٢٦ هـ .

(٨٩) الصورة الأدبية في القرآن الكريم د . صلاح الدين عبد التواب ، صـ ٢٦ ، ط . الشركة المصرية العالمية للنشر ، ط . الأولى سنة ١٩٩٥ م .

(٩٠) النقد الأدبي الحديث د محمد غنيمي هلال صـ ٣٦٣ ط . دار نهضة مصر ١٩٩٧م.

وتبقى حيوية التجربة فيصلا بين الشعراء ، فـ " إذا قدر الشاعر على أن يظهر فيها معالم شخصيته الفنية ، بحيث لا تنسب إلا إليه ، ولا تجوز نسبتها إلى غيره "(٩١) .

وإذا استطاع أن يسدل عليها ألوانا من التناسب بين ما يجول في نفسه من مشاعر ، وما يحيط به من معالم ومشاهد بيئية ، بحيث تتجاوب الطبيعة مع أحاسيسه ، وإذ استطاع أن يوظف أدوات لغته ، وصوره البيانية في خدمة تجربته ، إذا ناسب بين هذا كله بلغ ذروة سنام الأمر ، وصار صاحب القدح المعلى .

وصدق التجربة أمر ضروري لا غنى عنه ، فهو مقياس من مقاييس المفاضلة بين الجودة وعدمها ، فالتجربة الصادقة من المقاييس المهمة في الحكم للأديب أو عليه ، فمتى استطاع الشاعر " أن يظهر فيها معالم شخصيته الفنية بحيث لا تنسب إلا إليه ولا تجوز نسبتها إلى غيره "(٩٢) حاز قصب السبق .

والتجربة الشعرية الصادقة تقاس بقوة تأثيرها في المتلقي ، فـ " الأثر الفني الحق يقدر باستجابة القلوب له ، واستشفاف البصائر إياه قبل أن يقدر برجحانه في موازين العقول والأذهان ، فالفن الصادق هو الفن الذى يجد له الناس علي اختلاف ألوانهم وتفاوت مداركهم صدى في الأفئدة وتجاوبا في المشاعر "(٩٣)

وهو تأثير مرجعه إلى إيمان المبدع بما يقول ، وإن كان مخالفا لحقائق الأمور ، فكم من شاعر ذاع صيته بين المحبين ، وهو بعيد عن حقيقة ما يقول ، ومع هذا شهد له النقاد بصدق التجربة الشعرية ، ولعل ذلك راجع إلي اقتناعه بما تخيل أنه واقع له ومعايش إياه ، فـ " لابد من أن تكون التجربة صادقة بأن يكون الشاعر قد عاشها أو أدمن فيها ملاحظته واستغراقه الفني ، وعاش في حقيقتها الفنية "(٩٤) فالمحك في صدق التجربة هو قوة تأثيرها في المتلقي للعمل الشعرى ، فقد يعايش الشاعر موقفا ويحكم النقاد علي تجربته بغير ما يشتهي ، وقد يحدث العكس .

والتجربة الشعرية في نونية " سوار " تموج بكثير من العناصر الفنية الحقيقة بالدرس ، ولا غرو من هذا ، فهي نتاج تجربة صادقة لا تملق فيها ولا رياء ، ومخاض بيئة نائية كان أثرها في معاني الشاعر وألفاظه وصوره واضحا ، وكيف لا يتأثر بها وهو الوحيد ، الشريد ، الطريد ، المترقب للموت في كل لحظة ومن كل مكان ، وهو المتوجس خيفة ممن حوله ، فالشك سمة من سماته ، وسوء الظن بالآخرين صفة من صفاته .

وتنبثق القصيدة عن تجربة حيوية غذتها عاطفة الحنين إلى الديار ، فجاءت ممزوجة بغيرها من العواطف في تناغم وتكاتف عجيب ، فاستهلاله بذكر " سلمى " في الأبيات من ١ - ٧ نابع من حنين إلى وطن شاركها فيه ، ووصفه لحاله ولمهربه وهو طريد في الأبيات من ٨ - ١٣ منطلق من صورة مثالية لأرض يرنو إليها ، هي مراتع طفولته وشبابه ، وحديثه عن دابته في الأبيات من ١٣ - ٢٠ حديث مشتاق متمسك بكل ما يمت بصلة إلى وطن

---

(٩١) قضايا النقد الأدبي الحديث د . محمد السعدى فرهود صـ ٩٤ ط .دار الطباعة المحمدية بالأزهر ط . الثانية سنة ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

(٩٢) السابق صـ ٩٤ .

(٩٣) اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة ، محمود تيمور صـ ٦٢ ، ط . المطبعة النموذجية ، مصر

(٩٤) مدارس النقد الأدبي الحديث ، د . محمد خفاجي صـ ١٤٢ .

نشأ فيه ، وطلبه السلوان عن واقعه الأليم بذكر ماضيه الجميل ، وبخاصة سيرة المذحجية في الأبيات من ٢١ إلى نهاية القصيدة حنين واضح وشوق قاتل إلى وطنه .

وفي النونية من معالم شخصيته الفنية المتأثرة بتجربته الشعرية :

❖ سهولة الألفاظ وقرب العبارات ، مع قوة التأثير في المتلقي ، فلا مجال لاستخدام الكلمات الحوشية ؛ رغبة في إظهار المهارة اللغوية ، ولا تعارض مع ما في القصيدة من ألفاظ ، معدودات، تفتقر إلى توضيح ، فهي بالنسبة للشاعر ، ولعصره كلمات واضحة المعنى ليست بالغريبة .

وتجمع ألفاظ الرجل وعباراته بين قرب المأخذ وقوة التأثير ، مما يعكس موهبته ، وبراعته في توظيف مفردات اللغة ، " فالكلمة قد تكتسب قوتها من الشخصية التي تستخدمها ، وكم من عبارات كان لها أثرها في النفوس لم تكن لتحدث هذا الأثر لولم تصدر عن شخصية بذاتها ، إن الأديب ذا الشخصية القوية المؤثرة يخلق للكلمة ـ باستخدامه لها مجالا واسعا ، ولا يلبث الكثيرون أن يجدوا أنفسهم واقعين في إسارها"(٩٥)

❖ أحسن "سوار" اختيار ألفاظه ، فجاءت ملائمة لحالته النفسية، ومتناسبة وأهدافه ، حيث أكثر من استخدام كلمات تشتمل على حروف مد ولين ، ولا يخفي دور هذه الحروف في الأبيات ، حيث أشاعت جوًا من البطء والانكسار المنبثق من الحنين ، ومشاعر الغربة وآلامها ، فغالبا ما توحي هذه الحروف بـ " الحس النفسي ، وبطء الحركة ، بما يناسب المعنى الشعرى ، ويتساوق مع الشعور الذاتي "(٩٦) ، وفي هذا تناسب وحالته النفسية المتطلعة إلى العويل والبكاء حزنا على مغادرة الديار ، ومفارقة الأحباب

❖ وموسيقا العبارة مستمدة من حسن اختيار الشاعر للمن بحر ، فكان اعتماد الشاعر على من بحر الوافر ، وهو من البحور ذوات التفعيلة الواحدة ، والمقاطع الطويلة ، وتكرار التفعيلة الواحدة يكسب العبارة لونا من النغم والإيقاع له أثره في المعنى ، وهو ما يتناسب وآهات وأنَّات الغريب ، وفي طول التفعيلة وتكرارها إيحاء بعظم الخطب ، وهو الرحيل ،وآلام الغربة وأوجاع الحنين

❖ ومن الظواهر الأسلوبية الجديرة بالتأمل والدراسة الاستعانة بالاستفهام في غير موضع ، كقوله :

أَلَمَ تَـــــــــرَنِي وإِنْ أَنْبَـــــــــأتُ أَنِّي طَوَيْـــتُ الكَشْـــحَ عَـــنْ طَـــلَبِ الغَـــوانِي

وهو استفهام تقريري تعجبي دخل على " لم " وهي أداة نفي وجزم ، فأفاد توكيد مراد الشاعر ، ونفي ما أثار تعجبه .

---

(٩٥) الأدب وفنونه دراسة ونقد د. عز الدين اسماعيل صـ ٢٢ ط . مطبعة الاعتماد بمصر ، ط . الأولى سنة ١٩٥٥ م .

(٩٦) الشعر والنغم د . رجاء عيد صـ ١٦ ط. دار الثقافة بالقاهرة سنة ١٩٧٥.

- وقوله :

أَمِـــنْ أَهْـــلِ النَّقَـــا طَرَقَـــتْ سُـــلَيْمَى طَرِيْـــدًا بَـــيْنَ شُـــنْظُبَ والثَّمَـــانِ(٩٧)

وفيه تعجب من طيفها الذي أتاه ليلا فأرقه ، وزاد من آلامه ، وهو طريد .

والاستفهام " ينير النص ، ويفتح مغاليقه ، ويكشف عما يعتمل بأعماق الشاعر ضمن حدود يشف عنها الوعي والجمال الشعري . "(٩٨)

❖وفيها اعتماد على أسلوب له مكانته في الاقناع ، والتأثير ، والإثارة ، وأعنى به الموازنات التي عمد إليها الشاعر من حين لآخر ، وإن جاءت غير صريحة في غير موضع من القصيدة (٩٩) ، ومن موازناته :

١٩- سَـــبُوتًا الرَّجْـــعِ مَـــائِرَتًا الأَعَـــالِي إذا كَـــــلَّ المِطِـــــيُّ سَـــــفِيهتَانِ

يوازن الشاعر بين حال ناقته وقد أرهقها طول السفر ، وقلة الطعام والشراب ، وقسوة الطريق ، وشدة جفاف القفار ، وبين حال مطية من سلك هذه الطرق من قبله ، ويخرج من الموازنة بنتيجة يراها حقيقة ثابتة ، وهى : دابته فحل أرحبي لا مثيل له ، فما زال محتفظا بحيويته ، وقوته ، وثباته ، وما زال أعلاه يهتز من تراكم الشحوم التي لم يؤثر فيها طول السفر وقسوة المكان

❖ وفيها براعة في استخدام أدواته اللغوية ، حيث انتقى من الألفاظ والعبارات ما يتناسب مع حالته النفسية ، مثل : " فما أنا والهوَى مُتَدَانِيَانِ " في البيت الثالث ، و" وَلَكِنَّ المَزَارَ يهَا نَآنِي " في البيت الرابع ، و" أمَا يُفْدَى بأرضِكِ تِلكَ عَانِ " في البيت السابع ، و " بِظَمْأَى الرِّيْحِ خَاشِعَةِ القِنَانِ " في البيت الحادي عشر ، وكلها ترسم أبعادًا نفسية لطريد يعاني آلام البعد ، وظمأ القفار الموحشة ، وأسر آلام الغربة وأوجاع الفراق .

❖ وفيها براعة في استخدام أدواته ومهاراته البلاغية ، فنراه يعتمد على التكرار في غير موضع ؛ فيذكر اسم " سلمى " أكثر من مرة ، وبصيغ متعددة ؛ تلذذا به ؛ وفرارًا إليه من آلام مهربه وأوجاع غربته ، فيقول : " سليمى " بالتصغير في الأبيات : الثاني ، والرابع ، والتاسع ، والرابع والعشرين ، والأربعين ، ويقول : " سلمى " بدون تصغير في الأبيات : الحادي والعشرين ، والثاني والعشرين ، والخامس والعشرين ، والسابع والثلاثين ، والتاسع والثلاثين ، ويقول : " سلم " بالترخيم في البيت السابع ، ويتعفف عن ذكر اسمها ؛ صونا لها ، فيقول : يا ابنة آل قيس في البيت الثامن ، والمذحجية في البيت الثالث والعشرين .

---

(٩٧) طرقت سليمى : من طرق النجم إذا ظهر ليلا ، شنظب : واد بنجد لتميم ، الثماني : هضبات ثمانٍ في أرض تميم

(٩٨) الصّورة السّمعيّة في الشعر العربي قبل الإسلام ، د. صاحب خليل إبراهيم ، صـ ٢٩ ، ط . منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، سنة ٢٠٠٠ م .

(٩٩) حديثه عن لياليه بالكلندى في البيت الخامس ، وأيامه بين ضنك وصومحان في البيت السادس موازنة مع ليالي سرى فيها راعيا لنجوم كالأدم الهجان في البيت العاشر ، وبلاد تقاذفته خاشعة ريحها من شدة الظمأ في البيتين الحادي عشر والثاني عشر ؛ والنتيجة من الموازنة يفهمها المتلقي ، وهي : شتان ما بين نعيم وأمان فائت وشقاء وخوف كائن وآت .

وفي التكرار فوائد جمة فطِن إليها الشاعر ؛ إذ إنه " تكرار مساير للوزن ، مقو للنغمة ، فيه نفحة من نفحات أسلوب شعرى قديم ، كان يقع فيه من التكرار أكثر من هذا "(١٠٠) بالإضافة إلى أن فيه " زيادة في الأداء وحلاوة في المعنى والنغم "(١٠١)

❖ وزاد من حيوية التجربة إتقان الشاعر ، وبراعته في استخدام أدوات وأساليب الشرط ، وخاصة المصدرة بـ " إذا " في الأبيات : ١٠ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٧ واعتماد " إذا " دون غيرها من أدوات الشرط كـ " إن " مثلا ، يبرز ذوقا أدبيا مرهفا ، ودراية بأساليب اللغة ودلالاتها ، فـ " إذا " ظرف زمان للمستقبل ، يفيد الشرط ، فإذا جاء بعدها فعل الشرط وجوابه ماضيين ، فقد جمع الأسلوب بين الماضي والمستقبل ، وحين يتنوع جواب الشرط وفعله بين الاسمية والفعلية ، فإن التوكيد يكون أظهر الدلالات ، بالإضافة إلى تحقيق الانسجام الصوتي ، وقوة النغم ، الأمر الذى ينتفي تحققه إذا استعان الشاعر بغير " إذا " من أدوات الشرط .

❖ وما أروع أسلوب العتاب في قوله :

٢١- أَعَـــاذِلَتَيَّ في سَـــلْمَى دَعَـــانِي فـــإِنِّي لا أُطَـــاوِعُ مـــن نَهَـــانِي

٢٢- ولـــو أَنِّي أُطيعُكُمَـــا بســـلمَى لكنـــتُ كـــبعضِ مـــن لا تُرْشِـــدَانِ

٢٣- دَعَـــانِي مـــن أَذَاتِكُمَـــا ولكـــن بـــذكْرِ المِذْحِجيَّـــةِ عَلِّـــلَانِي

٢٤- فـــإِنَّ هَـــوَايَ مـــا علِمَـــتْ سُـــلَيْمَى يَمَـــانٍ إِنَّ مَنْزِلَهَـــا يَمَـــانِ

عتاب رقيق نابع من عاطفة تتململ من نار الحب والحنين إلى لقاء المحبوبة ، فهي صادقة في وصفها ، الأمر الذى أضفي على التجربة الشعرية حيوية وروعة ، فعاطفة الأبيات على وتيرة واحدة ، فلا تلمس فطورا واضحا ، ولا تعددا ، الأمر الذى يوحى بثبات الشاعر على موقفه من محبوبته ، وصدقه في حبه لها ، ولا شك في انعكاس هذا التباين على تجربته الشعرية .

❖ كثرة الالتفات من التكلم إلى الخطاب إلى الغيبة ، أو العكس ، أسلوب درج عليه "سوار" في غير موضع من القصيدة ، وكثرة الالتفات توحي بمحاولات من الشاعر لجذب المتلقي حاضرا وغائبا ، ومشاركته المتحدث في المشاعر والمواقف ، وقد توحي باستغراق الشاعر في الحدث ، وتصارع المعاني والأفكار في نفسه ، وهي حالة لا إرادية يتسم بها بعضهم ، فـ " الشاعر يكون في إحدى الصور فإذا به يلتفت فجأة ، فيقف ليصور جزئية من جزئياتها "(١٠٢)، وقد تنم عن ذهن أصابته الحيرة والاضطراب ، فافتقر إلى التركيز .

*****

(١٠٠)المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، د . عبد الله الطيب ، جـ ٢ صـ ٥٠٣ ، ط . دار الفكر ، ط . الثانية سنة ١٩٧٠ م .

(١٠١) السابق جـ ٢ صـ ٥٠٥ .

(١٠٢) التفسير النفسي للأدب د . عز الدين إسماعيل ، صـ ٩٤ ، ط . دار العودة – بيروت .

ومجافاة التنقيح من سمات شعر " سوار" في مهربه ، فما أعاد النظر ؛ للتجويد، إذ كيف يجوِّد المترقب نتاجه وقد سيطرت عليه مشاعر الخوف والرهبة والشك ، وما الغاية التي يرنو إليها من التنقيح ، ومن هنا يلمس المتلقي في القصيدة سقطات ، قليلة ، ولو أعاد الشاعر النظر في نتاجه كرة أو كرتين لتجنبها ، ولا يقلل ما عليها من قيمتها ، فقد حفلت بكثير من أبكار المعاني ، وروائع الألفاظ والتراكيب ، وبدائع الصور ، ومما يلفت النظر في النونية :

❖ ضحالة الخيال وابتذاله في قوله :

٤٤- وَأنِّي لا أَزَالُ أَخَـــــــا حِفَـــــــــاظٍ إذا لم أَجْـنِ كنـتُ مِجَـنَّ جَـانِ(١٠٣)

- الذود عن الديار والحرمات .

- التباهي بالظلم ، والدفاع عن الظالم .

أمور تداولها الشعراء منذ فجر التاريخ في الأدب العربي ، وتبدو واضحة في معلقة زهير بن أبي سلمى (١٠٤) وسبق الحديث من خلال موازنة بين الصورتين عند الشاعرين (١٠٥)

ومجمل القول :

إن التجربة الشعرية في نونية " سوار " اتسمت بالصدق والتأثير في المتلقي ، فالرافد الأول لها هو العاطفة ، وقد رأيناها قوية صادقة؛ فأسهمت بصورة واضحة في حيوية التجربة ، فإذا خبت العاطفة ترنحت التجربة ، وجاء النص جامدا لا تأثير له ، فـ " الشاعر لا يبكيك إلا إذا استنفد ماء شئونه ، ولا يشجيك إلا إذا استطار الهوى بلبه"(١٠٦)

---

(١٠٣) أخا حفاظ : صاحب دفاع عن الحرمات ، أجن : أرتكب جناية ، مجن : المجن : الترس .

(١٠٤) كقوله : ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه ***** يهدَّم ومن لا يظلم الناس يظلم

ديوان زهير بن أبي سلمى ، صـ ٧٠ .

(١٠٥) انظر صـ ٢١ من هذا البحث .

(١٠٦) أصول النقد الأدبي د . أحمد الشايب صـ ١٨٠ ط . نهضة مصر ط . الثانية سنة ١٩٧٣ .

خاتمة

بعد جولة قضاها الباحث في نونية "سوار بن المضرب السعدي" ، أنموذجا لشعر المقلين في العصر الأموي خرجت الدراسة بعدد من النتائج أبرزها : ـ

❖ أجاد الشاعر في التعبير بوضوح عما لمسه في البيئة الجديدة التي حل بها .

❖ ضمت القصيدة سماتِ جودةٍ رقَّصَتْ رؤوسَ شيوخ البيان إعجابا بها .

❖ جودة شعر المقل دليل على براعته في فنه ، فمن الصعب أن يبلغ شاعر مبتدئ هذه المكانة من الجودة ، فنونية "سوار" تؤكد فحولته الشعرية .

❖ كان للأحداث السياسية والاجتماعية في العصر الأموي دور بالغ الأهمية في ضياع الكثير من شعر المقلين .

❖ كان لهروب الشاعر المقل إلى الفيافي البعيدة المقفرة ، والبلدان النائية عن السلطان ، كان لهذا دور مهم في وصول هذه الأعمال الجيدة إلينا .

❖ للصورة الشعرية في القصيدة مكانة مرموقة ؛ ولهذا اهتم بها الشاعر ، فأكثر من الصور المفردة ، وأعجب ، وأجاد في المركبة ، وبرع في الربط بين أجزائها .

❖ استلهم الشاعر صوره من بيئته ، مؤكدا لها بأدواته الفنية ، وموهبته الشعرية .

❖ نظرا لمعايشة الشاعر لتجربته الشعرية ، وذوبانه فيها ، تجلت موهبته ، فلمسنا معانى مبتكرة ، وعواطف جياشة ، وتراكيب نبعت من تأثر واضح بالحدث ، فكانت التجربة صادقة ، وكيف لا وأدبه وليد كبد مكلومة ، ونفس أعياها الفرار ، وخوف السلطان .

المصادر والمراجع

[١] اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة ، محمود تيمور ، ط . المطبعة النموذجية ، مصر .

[٢] الأدب وفنونه دراسة ونقد د. عز الدين اسماعيل ط . مطبعة الاعتماد ، مصر ، ط . الأولى سنة ١٩٥٥م.

[٣] الأصمعيات لأبي سعيد عبد الملك بن قريب ،ط . دار المعارف ، مصر ،ط . الخامسة ، ت أحمد شاكر وعبد السلام هارون .

[٤] أصول النقد الأدبي د . أحمد الشايب ، ط . نهضة ،مصر ط . الثانية سنة ١٩٧٣ .

[٥] الأعلام لخير الدين الزركلي ، ط . دار العلم للملاين ، بيروت .

[٦] الأمالي لأبي علي إسماعيل بن القاسم القالي ، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سنة ١٩٧٥ م.

[٧] المن بحر المحيط ، لأبي حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي ، ت .صدقي محمد جميل ط . دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٤٢٠ هـ.

[٨] تاج اللغة وصحاح العربية ، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ، ت .أحمد عبد الغفور عطار ط. دار العلم للملايين ، بيروت ط. الرابعة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .

[٩] التفسير النفسي للأدب د . عز الدين إسماعيل ، ط . دار العودة ، بيروت .

[١٠] الحماسة البصرية ، لأبي الحسن علي بن أبي الفرج بن الحسن ، صدر الدين ، ت . مختار الدين أحمد ، ط. عالم الكتب ، بيروت.

[١١] الحيوان ، لأبي عثمان عمرو بن من بحر الجاحظ ، ت عبد السلام هارون ، ط الحلبي ، مصر ، ط الثانية ، سنة ١٣٨٥=١٩٦٥م.

[١٢] الخصائص ، للأبي الفتح عثمان بن جني الموصلي ، ط . الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط .الرابعة .

[١٣] ديوان زهير بن أبي سلمى ، شرح حمدو طماس ، ط. دار المعرفة ، لبنان ط . الثانية سنة ٢٠٠٥ = ١٤٢٦ هـ.

[١٤] ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ، ت . د محمد يوسف نجم ، ط . دار صادر ، بيروت.

[١٥] ديوان الفرزدق ، شرح وضبط على فاعور ، ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط. الأولى سنة ١٤٠٧ هـ = ١٩٨٧ م .

[١٦] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي ، ت. علي عبد الباري عطية ط . دار الكتب العلمية ، بيروت ط . الأولى ، ١٤١٥ هـ .

[١٧] شرح ديوان جرير ، محمد إسماعيل الصاوي ، ط . مطبعة الصاوي ، مصر ، ط . الأولى.

[١٨] شرح ديوان الحماسة ، لأبي على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، ت. غريد الشيخ ، ط. دار الكتب العلمية، بيروت ، ط. الأولى ، سنة ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م .

[١٩] شرح ديوان عنترة ، الخطيب التبريزي ، ت . مجيد طراد ، ط . دار الكتاب العربي بيروت ، ط. الأولى، سنة ١٤١٢ = ١٩٩٢.

[٢٠] شرح كتاب الحماسة ، لأبي القاسم زيد بن علي الفارسيّ ، ت . د. محمد عثمان علي ، ط. دار الأوزاعي ، ط .الأولى ، بيروت.

[٢١] الشعر والنغم د . رجاء عيد ، ط. دار الثقافة ، القاهرة ، سنة ١٩٧٥.

[٢٢] الصورة الأدبية في القرآن الكريم ، د . صلاح الدين عبد التواب ، ط . الشركة المصرية العالمية للنشر ، ط . الأولى ، سنة ١٩٩٥ م .

[٢٣] الصّورة السّمعيّة في الشعر العربي قبل الإسلام ، د. صاحب خليل إبراهيم ، ط . منشورات اتحاد الكتّاب العرب ، سنة ٢٠٠٠ م .

[٢٤] قضايا النقد الأدبي الحديث ، د . محمد السعدى فرهود ، ط .دار الطباعة المحمدية بالأزهر ط . الثانية ، سنة ١٣٩٩ هـ = ١٩٧٩ م .

[٢٥] الكامل في اللغة والأدب ، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد ، ت . محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط. دار الفكر العربي، ط. الثالثة ، القاهرة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م .

[٢٦] لسان العرب ، لابن منظور أبي الفضل محمد بن مكرم بن على ، ط .دار صادر ، بيروت ، ط. الثالثة ، سنة ١٤١٤ هـ .

[٢٧] المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم ، لأبي القاسم الحسن بن بشر الآمدي ، ت. ف. كرنكو ، ط. دار الجيل، بيروت ط. الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .

[٢٨] مدارس النقد الأدبي الحديث ، د . محمد عبد المنعم خفاجي ، ط. الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط . الأولي ، سنة ١٤١٦ هـ = ١٩٩٥م.

[٢٩] المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ، د . عبد الله الطيب ، ط . دار الفكر ، ط . الثانية ، سنة ١٩٧٠م.

[٣٠] معاني القرآن ، لأبي زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء ، ت .أحمد يوسف النجاتي وآخرون ، ط. دار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، ط. الأولى .

[٣١] معجم البلدان ، لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي ، ط. دار صادر ، بيروت.

[٣٢] معجم مقاييس اللغة ، لأبي الحسين أحمد بن فارس ، ت عبد السلام هارون ، ط دار الفكر ، بيروت ، سنة ١٣٩٩=١٩٧٩م.

[٣٣] النقد الأدبي الحديث ، د محمد غنيمي هلال ، ط . دار نهضة ، مصر ١٩٩٧م.

A critical vision in the poetry of Al Maqlin
Nounieh Sowar ibn al Mudarab model

Research Objectives: Try to find a convincing answer to the following:
Is the lack of the writer's product with its quality a proof of his poetics? What does the poet need to learn And if we handed over the skill of the penitent, was it ever intense? What causes the loss of most of his hair?

Research Plan: Introduction In the second topic is a talk about the unity of objectivity and membership and in the third topic talk about the poetic image, and in the fourth section talk about the experience Noodles, and in conclusion the results of the study then the indexes were.

Results:The poet expressed his appreciation for the new environment in which he was dissolved, and the quality of his hair is proof of his proficiency in his art. It is difficult for a novice poet to reach this position of quality. The poetic image of the poem has a prestigious position And his poetic talent, the poet lived his poetic experience, and his talent appeared in innovative meanings and sincere emotions.

key words A critical vision poetry of Al Maqlin The Umayyad Period Nounieh Sowar ibn al Mudarab